مفهوم التعاون ومجالاته في القران الكريم
دراسة موضوعية

أ.م.د.حيدر عبد العزيز اسماعيل الكيلاني

الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية
فلسفة علوم القران-تخصص تفسير

المستخلص:

خلق الله تعالى الإنسان ضعيفاً، وهو يحتاج ليستمر في حياته أن يتعاون مع غيره، وهذا واضح في أمور الدنيا، فالإنسان يحتاج لمن يزرع له، ولمن يحصد له، ويحتاج لمن يصنع الآلات، ولمن يسوق البضاعة، ولمن يشتري، وبالجملة : فلا تقوم حياة الناس إلا بتعاونهم فيما بينهم، ومن ظواهر الروح الجماعية التي غذاها ونماها وأصّلها الإسلام في قلوب المسلمين ظاهرة التعاون الجماعي، وإن التعاون الجماعي ينأى بالإنسان عن الانعزالية أولاً، ثم ينأى به نفسياً عن الانفرادية وقبائحها الأنانية المفرطة، ويحقق معنى الجسدية الواحدة، ويهيئ المناخ المناسب؛ لإقامة جلائل الأعمال العلمية والتطبيقية، والمسلمون يحتاج بعضهم بعضاً في شئونهم الدنيوية والدينية، ولذلك كان التعاون بين المسلمين أمراً جللاً، وقد أوجبه الله تعالى، وجعل به قيام دين الناس ودنياهم، وقد جاء وصف المسلمين – إن هم حققوا هذا التعاون – بأنهم بنيان مرصوص، وأنهم جسد واحد، وكل ذلك يؤكد على أن التعاون بينهم والتضامن والتكاتف أمر لا بدَّ منه، وهو يشمل جوانب كثيرة في حياة المسلمين يجمعها كلمتا (البر) و(التقوى) وهما كلمتان جامعتان لجميع خصال الخير، من الاعتقاد، والسلوك، والأحكام، وغيرها، وما أحوجنا في هذا الزمان الذي أنتشر فيه الشرّ، وأنحسر فيه الخير، وقلّ المعينون عليه، أن نحيي هذه الشعيرة العظيمة، وندعو إليها، ونحثّ عليها؛ لما فيها من الخير العظيم، والنفع العميم، من إقامة أمر الدين، وتقوية المصلحين، وكسر الشرّ، ومحاصرة المفسدين ومن الله التوفيق .

The Concept of Cooperation and its Domains in The Holy Quran: An Objective Study

Assist.Prof.Dr. Haydar Abdul Aziz Ismail Al Kailany
The Philosophy of Quran: Tafsir
AL Mustansiria University/College of Education

Abstract

Allah created the human being as a weak creature who needs to cooperate in order to live and survive. This is clear in businesses like planting, harvesting, creating machines, trading, and so on. In general, people cannot continue their lives without cooperation among each other. One of the supreme concepts that Islam came up with is the social cooperation among muslims. The social cooperation prevents solitude, psychological loneliness and selfishness in all its badness. It proves the concept of unity and how to achieve every supreme scientific and practical deed among muslims. Muslims need each other to cooperate in their secular and religious affairs. So cooperation among muslims was very important which made it obligatory by the order of Allah. This was clear when they were described as being united just like one body. Cooperation and solidarity are obligatory in all life domains for muslims described by the two words (Albir) and (Altaqua) which contain all the good concepts in beliefs, behavour, rules and so on. We are in need of cooperation especially in this time which contains evil and badness. So we need to spread the concept of cooperation to spread good instead of evil in the world.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية. العدد (٣) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

المقدمة:

الحمد لله الملك المعبود، والصلاة والسلام على صاحب الكرم والجود، سيدنا محمد الأحمد المحمود، وعلى أهل بيته وأصحابه الموفين بالعهود . أما بعد : خلق الله تعالى الإنسان ضعيفاً، وهو يحتاج ليستمر في حياته أن يتعاون مع غيره، وهذا واضح في أمور الدنيا، فالإنسان يحتاج لمن يزرع له، ولمن يحصد له، ويحتاج لمن يصنع الآلات، ولمن يسوق البضاعة، ولمن يشتري، وبالجملة : فلا تقوم حياة الناس إلا بتعاونهم فيما بينهم، ومن ظواهر الروح الجماعية التي غذاها ونماها وأصّلها الإسلام في قلوب المسلمين ظاهرة التعاون الجماعي، وإن التعاون الجماعي ينأى بالإنسان عن الانعزالية أولاً، ثم ينأى به نفسياً عن الانفرادية وقبائحها الأنانية المفرطة، ويحقق معنى الجسدية الواحدة، ويهيئ المناخ المناسب؛ لإقامة جلائل الأعمال العلمية والتطبيقية، والمسلمون يحتاج بعضهم بعضاً في شئونهم الدنيوية والدينية، ولذلك كان التعاون بين المسلمين أمراً جللاً، وقد أوجبه الله تعالى، وجعل به قيام دين الناس ودنياهم، وقد جاء وصف المسلمين – إن هم حققوا هذا التعاون – بأنهم بنيان مرصوص، وأنهم جسد واحد، وكل ذلك يؤكد على أن التعاون بينهم والتضامن والتكاتف أمر لا بدَّ منه، وهو يشمل جوانب كثيرة في حياة المسلمين يجمعها كلمتا (البر) و(التقوى)، كما قال تعالى:(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثم وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) المائدة / من الآية (٢)، وهما كلمتان جامعتان لجميع خصال الخير، من الاعتقاد، والسلوك، والأحكام، وغيرها، وما أحوجنا في هذا الزمان الذي أنتشر فيه الشرّ، وأنحسر فيه الخير، وقلّ المعينون عليه، أن نحيي هذه الشعيرة العظيمة، وندعو إليها، ونحثّ عليها؛ لما فيها من الخير العظيم، والنفع العميم، من إقامة أمر الدين، وتقوية المصلحين، وكسر الشرّ، ومحاصرة المفسدين، فوجدت من الضروري بحث هذا الموضوع تحت عنوان ((مفهوم التعاون ومجالاته في القران الكريم دراسة موضوعية))، وجعلته بعد المقدمة على أربعة مباحث وهي: المبحث الاول تعريف التعاون واهميته ويتضمن مطلبين المطلب الاول: تعريف التعاون لغةً واصطلاحاً، والمطلب الثاني: اهمية التعاون، والمبحث الثاني: أقسام التعاون وانواعه، ويتضمن مطلبين المطلب الاول: اقسام التعاون، والمطلب الثاني: انواع التعاون، والمبحث الثالث: الفطرة البشرية في التعاون والفرق بين التعاون، ويتضمن مطلبين: المطلب الاول الفطرة البشرية في التعاون، والمطلب الثاني: الفرق بين التعاون بالبر والتقوى والإثم والعدوان، والمبحث الرابع مجالات التعاون ويتضمن مطلبين: المطلب الاول: مجالات التعاون على البر والتقوى، والمطلب الثاني: مجالات التعاون على الإثم والعدوان، والخاتمة والمصادر والمراجع.. نسأل الله أن يجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى المبتعدين عن الإثم والعدوان، وأن يرزقنا فعل الخيرات وترك المنكرات، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المبحث الأول : تعريف التعاون واهميته

المطلب الاول : تعريف التعاون لغةً واصطلاحاً

١) تعريف التعاون لغة : قال الراغب: التعاون لغةً: التظاهر[١] ، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية – العدد ٣ (ج) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [٢] . والعَوْنُ : الظَّهير على الأَمر الواحد والاثنان، والتعاون : هو (التظاهر) [٣] . وإنما قيل للتعاون (التظاهر)، لتقوية بعضهم ظهر بعض، فهو (تفاعل من الظهر)، وهو مساندة بعضهم ظهره إلى ظهر بعض [٤] . وفي المعجم الوسيط : (تعاون القوم عاون بعضهم بعضاً) [٥] . وللتعاون ألفاظ مرادفة تدخل في (باب الإعانة)، وهي: شد على يده، وأجاره، وأيده، وهو في حومته، ورمى من ورائه، ورأمه، ورافده، وأمرنه، وأغاثه، وعاونه، وعانه، وعاضده، وكانفه، وآزره، وناصره، وأعمده، ونصره، وقابله، وظافره، وظاهره، وضالعه، ومالأه [٦] .

٢) **تعريف التعاون اصطلاحاً** : هو الإتيان بكل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، والامتناع عن كل خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره عليها من إخوانه المسلمين، بكل قول يبعث عليها، وبكل فعل كذلك [٧] . ومن ثمرات التعاون الألفة ، قال الجرجاني في تعريف الألفة : اتفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش [٨] . وفي التعريف كلمة مهمة وهي: (اتفاق الآراء) وما توحي به من وحدة الهدف، واجتماع القلوب على بلوغه .

المطلب الثاني : أهميـة التـعاون

ان اهمية التعاون يشكل امراً ضورياً في المجتمعات الاسلامية بين الافراد والجماعات ؛ لان به قوام المجتمعات والامم والحضارات وتكمن هذه الاهمية في النقاط الاتية :

١) **التعاون على البر لا على الإثم** ، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [٩] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[١٠]، ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [١١]. وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ [١٢].

٢) **التعاون من صفات المؤمنين** ، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [١٣] . وفي الحديث « الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ وَمُتَسَرِّعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ لاَ يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلاَ ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ» [١٤] . قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) : (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا" قيل يا رسول الله هذه نصرته مظلومًا، فكيف أنصره إذا كان ظالمًا ؟ قال: (تحجزه وتمنعه من الظلم فذاك نصره) [١٥] .

٣) **التشاور في الأمور**، ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [١٦]، وقوله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾[١٧] .

٤) **الدنيا دار بلاء فمن يغتنمها**، قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [١٨] . قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [١٩] . قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٢٠] .

٥) **الندم في الآخرة على عدم فعل الخير**، قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [٢١] .

المبحث الثاني : أقسام التعاون وانواعه

المطلب الاول : أقســـــام التـعاون

يقسم الماوردي الناس باعتبار ما يقدمونه من معاونة وما يحققونه من معاني الأخوة والتعاون إلى أقسام أربعة: الأول: من يعين ويستعين. والثاني: من لا يعين ولا يستعين. والثالث: من يستعين ولا يعين. والرابع: من يعين ولا يستعين. ثم قال: فأما المعين والمستعين فهو معاوض منصف، يؤدي ما عليه ويستوفي ما له، فهو كالمقرض يسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء، وهو مشكور في معونته ومعذور في استعانته، فهذا أعدل الإخوان . وأما من لا يعين ولا يستعين فهو متروك، قد منع خيره وقمع شره، فهو لا صديق يرجى ولا عدو يخشى، وإذا كان الأمر كذلك فهو كالصورة الممثلة، يروقك حسنها ويخونك نفعها، فلا هو مذموم لقمع شره ولا هو مشكور لمنع خيره، وإن كان باللوم أجدر. وأما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كَلٌّ ومعان مستذل، قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة، فلا خيره يرجى ولا شره يؤمن، وحسبك مهانة من رجل مستثقل عند إقلاله، ويستقل عند استقلاله، فليس لمثله في الإخاء حظ، ولا في الوداد نصيب. وأما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع، مشكور الصنع، وقد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء، فلا يرى ثقيلاً في نائبة، ولا يقعد عن نهضة في معونة، فهذا أشرف الإخوان نفساً، وأكرمهم طبعاً، فينبغي لمن أوجد له الزمان مثله – وقل أن يكون له مثل لأنه البر الكريم والدر اليتيم– أن يثني عليه خنصره ويعض عليه بناجذه، ويكون به أشد ضناً منه بنفائس أمواله، وسنى ذخائره؛ لأن نفع الإخوان عام، ونفع المال خاص، ومن كان أعم نفعاً فهو بالادخار أحق، ثم لا ينبغي أن يزهد فيه لخلق أو خلقين ينكرهما منه إذا رُضيَ سائر أخلاقه، وحُمدَ أكثر شيمه؛ لأن اليسير معفو والكمال معوز [٢٢] .

المطلب الثاني : أنواع التعاون

ان التعاون له انواع متعددة من خلال ما نجده بين المسلمين وبحب الاختصاصات العلمية والثقافية والاجتماعية ، وتكمن هذه الانواع في النقاط الاتية : أولاً : **التعاون الجماعي**: ودليله ما فعله النبي (صلى الله عليه واله وسلم) حين جعل أول أعماله في المدينة بعد الهجرة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [٢٣]. وقوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [٢٤]، وقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) (أيما أهل عرصة أمسوا وفيهم جائع، فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله) [٢٥] ، وقال (صلى الله عليه واله وسلم) (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)[٢٦] .**وثانياً: التعاون العلمي**:قال (صلى الله عليه واله وسلم) :(من سُئل عن علمٍ يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار)[٢٧]. **وثالثاً: التعاون السياسي**: قوله (صلى الله عليه واله

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد (٣) المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

وسلم) (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[٢٨]، وقوله: (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم)[٢٩]. **ورابعاً: التعاون الدفاعي:** مصداقًا لقوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣٠] . **وخامساً : التعاون الاخلاقي:** قال رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم): (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب قوم أعلاها وقوم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا أرادوا أن يستقوا من الماء مروا على من فوقهم.. فقالوا لو أنا نقبنا في مكاننا نقبا فلا نؤذي من فوقنا.. فلو أنهم تركوهم وما أرادوا لهلكوا جميعًا، ولو أخذوا على أيديهم لنجوا ونجوا جميعًا) [٣١] ، وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) : (من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [٣٢] . وهذا أيضًا من التكافل والتعاون على الإصلاح والتغيير إلى الأحسن والأفضل. **وسادساً: التعاون الجنائي:** فمن الثابت في الفقه الإسلامي أن يقوم بيت مال المسلمين بدفع دية القتيل لأوليائه إذا لم يستطع أولياء القاتل دفعها، فإذا لم يقدر بيت المال على ذلك أو لم يكن هناك بيت مال للمسلمين قام عامة المسلمين بدفعها لأولياء القتيل، تعاون وتكافل لا يعرف له نظير في الدنيا كلها إلا في دين الإسلام العظيم. **وسابعاً : التعاون العبادي:** فما صلاة الجنازة ومن قبلها تجهيز الميت ودفنه بعد ذلك ما كل ذلك إلا تكافل وتعاون جعله الإسلام فرضًا من الفروض الواجبة . **وثامناً : التعاون الأدبي:** وهو معنى أستشعره من قول النبي (صلى الله عليه واله وسلم) : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [٣٣] ، بأن تفرح لفرحي.. وتحزن لحزني..وتمد يد المعونة عند احتياجي إليك.. ترشدني إذا غويت.. وتهديني إذا ضللت.. تحفظ مالي وعرضي غائبًا وحاضرًا.. تحب لي ما تحب لنفسك وتكره ما تكرهه لها . **وتاسعاً : التعاون الحضاري:** التعاون مع كل إنسان كائنًا مَن كان على إرساء القيم الأخلاقية والحضارية التي عليها تقوم نهضة الأمم والشعوب وهو مصداق قوله تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٣٤]، والآية موجهة إلى كل الناس للتعاون مع كل الناس .

المبحث الثالث : الفطرة البشرية في التعاون والفرق بين التعاون

المطلب الاول : الفطرة البشرية في التعاون

خلق الله الانسان على فطرته من أجل اظهار الاشياء الايجابية في احياء مجتمع مبني على التعاون، يقول أبن خلدون في مقدمته: ((الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكَنّ وغير ذلك وإنما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه والاجتماع المهيّء لذلك التعاون، وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى والعمل به وإتباع صلاح أخراه)) [٣٥] . وبيّن _ رحمه الله _ أهمية الاجتماع والتعاون لبني البشر وذكر أن التعاون يحصل به من الثمرة أكثر من حاجات المتعاونين فقال : ((قد عرف وثبت أن الواحد من البشر غير مستقل لتحصيل حاجاته في معاشه وأنهم متعاونون جميعاً في عمرانهم على ذلك ، والحاجة التي تحصل بتعاون طائفة منهم تشتد ضرورة الأكثر من عددهم أضعافاً ، فالقوت من الحنطة مثلا لا يستقلّ الواحد بتحصيل حصته منه وإذا انتدب لتحصيله الستة أو العشرة من حدّاد ونجار للآلات وقائم على البقر وإثارة الأرض

وحصاد السنبل وسائر مؤن الفلح وتوزعوا على تلك الأعمال أو اجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت، فإنه حينئذ قوت لأضعافهم مرات فالأعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضروراتهم)) [٣٦] . ويقول في موضع آخر فيه مزيد بيان : ((إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصلح حياتها ولا بقاؤها إلا بالغذاء ، وهداه إلى التماسه بفطرته ، وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمادة حياته منه ، ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخوري، هب أنه يأكل حباً من غير علاج ؛ فهو أيضا يحتاج في تحصيله حباً إلى أعمال أخرى أكثر من هذه ؛ الزراعة والحصاد والدارس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل ، ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير، ويستحيل أن توفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد ، فلا بد من اجتماع القُدُر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم))[٣٧]. وهذا الكلام يدل قطعاً على أن توزيع المهمات لإنجاز الأعمال من التعاون المطلوب، وأن هذا التعاون بين الأفراد ينتقل بعمل كلّ منهم ليصبح وظيفة عامة اجتماعية تكفل العيش لعدد كبير من المجتمع، فالتعاون بين الأفراد وتقسيم العمل ظاهرتان ملازمتان للإنسان ولا غنى له عنهما ، وأنّ تعاون المجموعة لا يُنتج ما يكفيهم فقط وإنما يزيد ويفيض. وهذا كلام عام في الأمور الدينية والدنيوية ، فأما بالنسبة للتعاون الشّرعي فإن الأسباب الدافعة لدى المسلم للتعاون على البرّ والتقوى والمشاركة في الخير عدّة ومنها :

١) تحصيل ثواب أمتثال الأمر الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ .

٢) زيادة الأجر والمضاعفة : قال أهل العلم : ((فإن العبد بإيمانه وطاعته لله ورسوله قد سعى في انتفاعه بعمل إخوانه المؤمنين مع عمله كما ينتفع بعملهم في الحياة مع عمله ، فإن المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعض في الأعمال التي يشتركون فيها كالصلاة في جماعة ؛ فإن كل واحد منهم تضاعف صلاته إلى سبعة وعشرين ضعفاً لمشاركة غيره له في الصلاة ، فعمل غيره كان سببا لزيادة أجره كما أن عمله سبب لزيادة أجر الآخر بل قد قيل : إن الصلاة يضاعف ثوابها بعدد المصلين ، وكذلك اشتراكهم في الجهاد والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى ، وقد قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم) « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه » [٣٨]، ومعلوم أن هذا بأمور الدين أولى منه بأمور الدنيا، فدخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه في حياته وبعد مماته ، ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم، وقد أخبر الله سبحانه عن حملة العرش ومن حوله أنهم يستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم وأخبر عن دعاء رسله واستغفارهم للمؤمنين ، كنوح وإبراهيم ومحمد (صلى الله عليه واله وسلم))) [٣٩].

٣) الحاجة : فإنّ كثيراً من الأهداف والمشاريع الإسلامية لا يُمكن تحقيقها فرديا ، ولهذا قيل : لا يعجز القوم إذا تعاونوا .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣(أ) - المجلد ٤٣ - السنة ٢٠١٨

٤) إتقان العمل وسهولة القيام به يكون أبلغ مع التعاون والعمل الجماعي وذلك أن الاشتراك في العمل مع آخرين يجعله أخفّ مشقّة وأسهل لتوزّع الحمل على الجميع .

والتعاون المأمور به في الآية : الأول : تعاون على البر والتقوى ؛ من الجهاد وإقامة الحدود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واستيفاء الحقوق وإيصالها إلى مستحقيها ، يقول القرطبي في تفسيره : ((والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه ، فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله ، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم »[٤٠]، ويجب الإعراض عن المتعدي، وترك النصرة له ورده عما هو عليه)) . وثانيا: التعاون المنهي عنه في الآية : التعاون على الإثم والعدوان ؛ كالإعانة على سفك دم معصوم، أو أخذ مال معصوم، أو انتهاك عرض مصون، أو ضرب من لا يستحق الضرب ونحو ذلك.. والمعاونة تكون بالجاه ، والبدن، والنفس، والمال، والقول، والرأي [٤١] .

المطلب الثاني : الفرق بين التعاون بالبر والتقوى والإثم والعدوان

من خلال ما ذهب اليه اهل العلم نجد هناك فرق بين التعاون بالبر والتقوى والإثم والعدوان فقد سئل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [٤٢] ، فقال : هو أن تعمل به ، وتدعو إليه ، وتعين فيه ، وتدل عليه [٤٣] . ويقول القرطبي في تفسيره [٤٤] : ((وتعاونوا على البر والتقوى : هو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى ؛ أي ليُعِن بعضكم بعضاً، وتحاثوا على أمر الله تعالى وأعملوا به، وانتهوا عما نهى الله عنه، وامتنعوا منه، وهذا موافق لما روي عن النبي(صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال:« الدال على الخير كفاعله»[٤٥])). وقال القاسمي في تفسيره : ((لما كان الاعتداء غالباً بطريق التظاهر والتعاون، أُمروا – إثر ما نهوا عنه – بأن يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى، ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى .. ثم نُهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي)) [٤٦] . وقال أهل العلم في قوله تعالى: ((﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ أشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم ، فيما بينهم بعضهم بعضاً، وفيما بينهم وبين ربهم، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين واجب بينه وبين الله، وواجب بينه وبين الخلق، فأما ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة، فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم تعاوناً على مرضاة الله وطاعته التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه ولا سعادة له إلا بها، وهي البر والتقوى اللذان هما جماع الدين كله)) [٤٧] . ثم بيّن أهمية التعاون على البر والتقوى وأنه من مقاصد اجتماع الناس، فقال : ((والمقصود من اجتماع الناس وتعاشرهم هو التعاون على البر والتقوى، فيعين كل واحد صاحبه على ذلك علماً وعملاً ، فإن العبد وحده لا يستقلُّ بعلم ذلك ولا بالقدرة عليه ؛ فاقتضت حكمة الرب سبحانه أن جعل النوع الإنساني قائماً بعضه ببعضه معيناً بعضه لبعضه)) [٤٨]، فالإنسان ضعيف بوصفه فرداً ، قوي باجتماعه مع الآخرين ، وشعور الإنسان بهذا الضعف يدفعه حتماً إلى التعاون مع غيره في أي مجال ، فأمر الله العباد أن يجعلوا تعاونهم على البرّ والتقوى. والفرق بين البر والتقوى، والإثم والعدوان: قيل البر والتقوى لفظان بمعنى واحد، وكل برّ تقوى، وكل تقوى بر. وقيل:

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية واللغوية – العدد ٣(أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

البر يتناول الواجب والمندوب إليه، والتقوى رعاية الواجب، وقد ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البرّ رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس، فقد تمّت سعادته وعمّت نعمته [٤٩]. و(البرّ هو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله، وحقوق الآدميين ، والتقوى في هذه الآية: اسم جامع ، لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة) [٥٠] . قال العلماء والفرق بينهما: (وأما عند اقتران أحدهما بالآخر، كقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، فالفرق بينهما فرق بين السبب المقصود لغيره والغاية المقصودة لنفسها، فإن البرّ مطلوب لذاته ، إذ هو كمال العبد وصلاحه الذي لا صلاح له بدونه كما تقدم، وأما التقوى فهي الطريق الموصل إلى البر والوسيلة إليه)[٥١] . أما الفرق بين الإثم والعدوان : فيقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: ((﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ، وهو التجري على المعاصي التي يأثم صاحبها..(والعدوان) ، وهو التعدي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، فكل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه)) [٥٢] . ومن القواعد المؤكّدة في التعاون: أن المعاونة على البرّ: برّ، قال البيهقي: (الثالث والخمسون من شعب الإيمان؛ وهو باب في التعاون على البر والتقوى ، قال الله عز وجل ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ومعنى هذا الباب أن المعاونة على البر بر ؛ لأنه إذا عدمت مع وجود الحاجة إليه لم يوجد البر وإذا وجدت وجد البر، فبان بأنها في نفسها بر ثم رجح هذا البر على البر الذي ينفرد به الواحد بما فيه من حصول بر كثير مع موافقة أهل الدين والتشبه بما بني عليه أكثر الطاعات من الاشتراك فيها وأدائها بالجماعة) [٥٣] . ثم ساق حديث رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حيث قال:« أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً ، قال تمنعه من الظلم، فذلك نصره » [٥٤] . ومعنى هذا أن الظالم مظلوم من جهته ، كما قال الله _ عز وجل _ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾ [٥٥]، فكما ينبغي أن ينصر المظلوم إذا كان غير نفس الظالم ليدفع الظلم عنه ، كذلك ينبغي أن يُنصر إذا كان نفس الظالم .

المبحث الرابع : مجـــــالات التـــعاون

المطلب الاول : مجالات التعاون على البر والتقوى

أولاً _ التعاون في مجال الدعوة ونصرة الدين : يكون ذلك بنصرة الإسلام وأهله ، فقد حضّ الله تعالى عباده المؤمنين على نصرة دينه وأوليائه ، ونصرة نبيه ومؤازرته ومعاونته على إقامة الدين ونشر الدعوة بشتى الوسائل المشروعة، فقال _ عز وجل _ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [٥٦] ، أي : يساعدني في الدعوة إلى الله [٥٧] . ولهذا ينبغي أن يتعاون المسلم مع أخيه المسلم في الدعوة إلى الله ، ليشدّ أزره ويتقو به، كما قال الله تعالى لموسى: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [٥٨]، وقال ورقة بن نوفل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً » [٥٩] ، أي : أعاونك وأؤيدك في نشر دعوتك [٦٠] . وقال جَابِرٍ _ رضي الله عنه _ « مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ) بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ

وَمَجَنَّةَ وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى يَقُولُ مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ » [٦١] . ومن صور التعاون في مجال الدعوة ونصرة الدين : جهاد الكفار والمنافقين في سبيل الله، ومشاركة أهل الدعوة الإسلامية في الحروب ضد أهل الكفر والضلال ، وتهيئة جميع الوسائل والعدة والعتاد من أجل الجهاد في سبيل الله؛ وقد تعاون الصحابة في الجهاد في مشاهد كثيرة ومواقف متنوعة ومن ذلك حفر الخندق وأصابهم في ذلك ما أصابهم فصبروا، فعن جابر رضي الله عنه أنه قال: « لما حفر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه الخندق أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على بطنه حجراً من الجوع»[٦٢] . ومن صور التعاون في نصرة الدين التي حدثت في عهد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) : التعاون على قتل مدعي النبوة ، وقتل رؤوس أهل الشرك والمرتدين ومنهم الذين يسبون النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: « من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله ، فقام محمد بن سلمة، فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم ، قال: فأذن لي أن أقول شيئاً، قال: قل» ، فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وإنه قد عنّانا وإني قد أتيتك أستسلفك ، قال: والله لتملّنّه (ليزيد ضجركم منه) قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، فقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين، فقال: نعم ارهنوني، قالوا: أيّ شيء تريد ؟ قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب، قال: فارهنوني أبناءكم ؟ قالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم، فيقال: رُهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا ، ولكنا نرهنك اللأمة (يعني السلاح)، فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال:إنما هو محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي لطعنة بليل لأجاب، فنزل إليهم متوشحاً، وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحا – أي أطيب– .. أتأذن لي أن أشم رأسك، قال: نعم، فشمه ، ثم أشم أصحابه، ثم قال : أتأذن لي، قال: نعم، فلما استمكن منه، قال: دونكم ، فقتلوه ، ثم أتوا النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، فأخبروه[٦٣]. وقال ابن عبد البر في ترجمة زياد بن حنظلة التميمي: له صحبة ، وهو الذي بعثه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) إلى قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر ليتعاونوا على مسيلمة وطليحة والأسود[٦٤]. **وثانياً _ التعاون على إقامة العبادات** : جاء عن أبي موسى الأشعري في خطبة خطبها في قوم: ((فانظروا رحمكم الله واعقلوا وأحكموا الصلاة واتقوا الله فيها وتعاونوا عليها وتناصحوا فيها بالتعليم من بعضكم لبعض والتذكير من بعضكم لبعض من الغفلة والنسيان فإن الله _ عز وجل _ قد أمركم أن تعاونوا على البر والتقوى والصلاة أفضل البر)) [٦٥] ، ومن أمثلة ذلك : التعاون على قيام الليل : كان أهل البيت الواحد من أوائل هذه الأمة يتوزعون الليل أثلاثاً يصلي هذا ثلثاً، ثم يوقظ الثاني، فيصلي ثلثاً، ثم يوقظ الثالث، فيصلي الثلث الأخير، فعن أبي عثمان النهدي قال تضيفت أبا هريرة سبعاً ، فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثاً يصلي هذا ثم يوقظ هذا ويصلي هذا ثم يوقظ هذا [٦٦] . وكان الحسن بن صالح وأخوه عليّ وأمهما يتعاونون على العبادة بالليل وبالنهار قياما وصياما فلما ماتت أمهما تعاونا على القيام

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣(أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

والصيام عنهما وعن أمهما، فلما مات علي قام الحسن عن نفسه وعنهما، وكان يقال للحسن حية الوادي يعني لا ينام بالليل [٦٧].

وثالثاً _ التعاون في بناء المساجد: قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [٦٨] . وقد أورد البخاري في صحيحه باباً في التعاون في بناء المساجد، وسطر فيه أحاديثاً تبين بوضوح مدى التعاون بين النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وأصحابه في بناء المسجد النبوي فعن أَبِي سَعِيدٍ في ذِكْرِ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ قَالَ « كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ فَرَآهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ) فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ قَالَ يَقُولُ عَمَّارٌ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ » [٦٩] . وقام المسلمون يعمرون المساجد في البلاد التي فتحوها ، قال بعض الشعراء في وصف مسجد الكوفة لما بُني على أربعة أساطين ضخمة لم يحدث فيها خلل ولا عيب [٧٠] :

بني زياد لذكر الله مصنعة ... من الحجارة لم تعمل من الطين

لولا تعاون أيدي الإنس ترفعها ... إذا لقلنا من أعمال الشياطين

ورابعاً _ التعاون في مجال طلب العلم: وهو باب من التعاون يكفي في معرفته مطالعة كتب السير الغاصّة بالقصص التي بلغت من التعاون أوجه ، فهذا عمر بن الخطاب يقول: كُنْتُ وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ) ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْأَمْرِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ[٧١] . وَكَانَ عُمَر مُؤَاخِيًا أَوْس بْن خَوْلِيّ لا يَسْمَع شَيْئًا إلا حَدَّثَهُ وَلا يَسْمَع عُمَر شَيْئًا إلا حَدَّثَهُ. وقَوْله : (جِئْته بِمَا حَدَثَ مِنْ خَبَر ذَلِكَ الْيَوْم مِنْ الْوَحْي أَوْ غَيْره) ، أَيْ : مِنْ الْحَوَادِث الْكَائِنَة عِنْد النَّبِيّ (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ) ، وفِي رِوَايَة (إِذَا غَابَ وَشَهِدْت أَتَيْته بِمَا يَكُون مِنْ رَسُول اللَّه) وَفِي رِوَايَة الطَّيَالِسِيِّ "يَحْضُر رَسُول اللَّه (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ) إِذَا غِبْت وَأَحْضُرهُ إِذَا غَابَ وَيُخْبِرنِي وَأُخْبِرهُ ". وَفِي رِوَايَة (لا يَسْمَع شَيْئًا إلا حَدَّثَهُ بِهِ وَلَا يَسْمَع عُمَر شَيْئًا إلا حَدَّثَهُ بِهِ)[٧٢] . وقد تعرض لطالب العلم ضائقة خلال طلبه فيهبّ إخوانه لمعاونته : قال عمر بن حفص الأشقر : كنا مع محمد بن إسماعيل (وهو البخاري) بالبصرة نكتب الحديث، ففقدناه أياما، فطلبناه، فوجدناه في بيت ، وهو عريان وقد نفذ ما عنده ولم يبق معه شيء، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوباً وكسوناه ، ثم أندفع معنا في كتابة الحديث [٧٣] . وقد يعين العالم من ليس من أهل العلم ويحتسب بالإنفاق عليه أجر تفريغ العالم وطالب العلم للتدريس والطّلب : قال هياج بن عبيد كان لرافع قدم في الزهد وإنما تفقه الشيخ أبو إسحاق وأبو يعلى بن الفراء بمعاونة رافع لهما؛ لأنه كان يحمل وينفق عليهما [٧٤] . ويدخل في التعاون العلمي: التعاون في تأليف الكتب ، فقد جاء في ترجمة الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي أنه (ولع بتخريج أحاديث الإحياء ورافق الزيلعي الحنفي في تخريجه أحاديث الكشاف وأحاديث الهداية، فكانا يتعاونان) [٧٥] ، فاستفدنا من ذلك تخريج ثلاثة كتب صارت من أهم المراجع لطلاب الحديث. ومن هذا الباب أيضا

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد (٣) - المجلد ٤٣ - السنة ٢٠١٨

شرح المواد الدراسية من الخبير بها للقاصر عن فهمها، وكان بعض نبلاء المسلمين يشتري المصاحف والألواح ويوزعها على أطفال الكتاتيب معونة لهم على حفظ القرآن الكريم . **وخامساً _ التعاون في الدعوة والتعليم وإنكار المنكر**: وهو ان يقترح فكرة لموضوع وهذا يجمع قصصا واقعية عنه وهذا يعمل بحثا ميدانيا أو استبياناً حول الموضوع وآخر يجمع الأدلة الشرعية وكلام العلماء بشأنه وهذا يحشد الشواهد والأبيات الشعرية المتعلقة به وآخر أوتي موهبة في التحدّث يلقيه في محاضرة تسير بها الركبان، أو كاتب مجيد يخطّ بأسلوبه ذلك المحتوى من العمل المشترك في رسالة أو كتاب يؤثّر في نفوس القراء. وعالم أو طالب علم لديه – مما فتح الله به عليه – ما يقدّمه في دورة علمية ، وآخر يملك خبرة إدارية يسيّر بها أعمالها وثالث عنده مال يبذله لإسكان الطلاب الفقراء وإعاشتهم فترة الدورة ، وهكذا وعصرنا الذي نعيش فيه يحتاج كثيراً إلى الأعمال المشتركة والبركة مع الجماعة. وفي مجال إنكار المنكر تعاون عظيم أيضا : فهذا يجمع معلومات عن المنكر ويستقصي خبره في المجتمع وهذا يبحث حكمه شرعاً وثالث يعين على إيصاله إلى من ينكره ويغيّره ، وآخر يخطب عنه ويحذّر منه. وهذا الاشتراك في العمل الصالح له اجر عظيم وقد قال رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ): « إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلاثَةً الْجَنَّةَ صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَالْمُمِدَّ بِهِ » [٧٦] . فلا بد أن تكون هناك أدوار تكاملية وإذ انّ كثيراً من المشروعات وأمور الدّين لا يمكن القيام بها فردياً ، وإتاحة المجال للتخصصات المختلفة أن تعمل بتعاون سيثمر نتائج باهرة . **وسادساً _ المعاونة في إقامة الأنشطة الخيرية والأعمال الإسلامية** : ان المشاركة فيها بالنفس والمال، والجود عليها بالوقت ، والحثّ على الحضور، وتكثير السّواد فيها، وحسن استقبال روّادها، وإتقان وضع برامجها وترتيب جداولها، وشحذ الهمم لتنفيذ مهامّها، والعمل على تحقيق مقاصدها، ونشر فكرتها، وتصحيح مسيرتها، والذبّ عنها ، وحراسة أهلها، ومقاومة محاولات هدمها وإعاقتها . **وسابعاً _ التعاون في القيام بحقوق المسلمين واسع** : ويدخل ضمنه مجالات :

١) إعانة الملهوف : عن يزيد بن الأسود قال : لقد أدركت أقواماً من سلف هذه الأمة قد كان الرجل إذا وقع في هواية أو شدة نادى يا لعباد الله ، فيتواثبون إليه، فيستخرجونه ودابته مما هو فيه ، ولقد وقع رجل ذات يوم في دجلة، فنادى يا لعباد الله، فتواثب الناس إليه فما أدركت إلا مقاصّه في الطين فلأن أكون أدركت من متاعه شيئا ، فأخرجه من تلك الوحلة أحب إلي من دنياكم التي ترغبون فيها[٧٧] . فانظر كيف كان السلف الصالح يتفانون في إغاثة الملهوف وإعانته على نازلته وضرورته، وإعانة الضعفاء والمظلومين وحمايتهم من الاعتداءات، فعن أبي ذر قال « قلت يا رسول الله، أي: الأعمال أفضل – وفي رواية ، أي: العمل أفضل – قال إيمان بالله وجهاد في سبيله، قال قلت ، أي : الرقاب أفضل قال أنفَسها عند أهلها وأكثرها ثمناً – وفي رواية وأغلاها ثمناً – قال قلت أرأيت إن لم أفعل قال تعين صانعاً أو تصنع لأخرق..» [٧٨]. وعند قوله : أن تعين صانعاً (ضايعاً) أو تصنع لأخرق نتذكّر القصة العظيمة التي قصّها علينا ربنا تبارك وتعالى في سورة الكهف ، ولولا التعاون الجماعي لم تظهر في عالم الناس جلائل الأعمال الكبرى، ما كان منها علمياً ، وما كان منها عملياً . وسد ذي القرنين الذي حدثنا القران

عنه ، فهو عمل من أضخم الأعمال التي قام بها الناس في العصور القديمة بفضل التعاون . وقصة ذلك أن الصينيين من سكان البلاد الواقعة من دون موقع السد، اشتكوا للفاتح العظيم المؤمن ذي القرنين، ما تفعله قبائل يأجوج ومأجوج فيهم من إغارات مستمرة عليهم، وإفساد كبير في الأرض، وعرضوا عليه أن يقيم لهم بين مواقعهم ومواقع يأجوج ومأجوج سداً عظيماً، تحجز هذه القبائل عن أعمال الإغارة والإفساد، وذلك مقابل اجر يدفعونه له، ووافق ذو القرنين على طلبهم هذا إلا انه طلب منهم أن يعينوه بقوة ، ليقيم لهم هذا السد العظيم، ففعلوا، وأتم ذو القرنين عمله الكبير بفضل التعاون الجماعي[٧٩]، قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [٨٠] ، ففي هذه الآيات صورة من صور التعاون على الخير ودفع الشر وصدّ حملات المفسدين. وفي تاريخنا أمثلة عظيمة في هذا المقام، ففي ترجمة محسن بن محمد بن علي فايع الصنعاني أنه : كان حسن الأخلاق واسع المروءة رفيع السيادة والفتوة كريم الطباع مفضالاً بَذَل نفسه في معاونة الفقراء والمساكين والوافدين إلى الخلفاء وأتعب خاطره في الطلب لهم وتفقد أحوالهم والسعي في قضاء حوائجهم وعلاج مرضاهم والقيام بمئونتهم وجعلت بنظره صدقات وصلات، فبالغ في التحري عليها وإنفاقها في وجوه الخير وعمّر المساجد العجيبة وزاد في بعضها زيادة محتاج إليها واعتنى بدَرَسة القرآن وأهل المنازل وجعل لهم راتباً معلوماً خصوصاً في شهر رمضان.. وله الزيادة الواسعة النافعة في مسجد الفليحي بصنعاء ، وكان يضيق بالمصلين ، فأنفق عليه جل ماله ، وبنى لله مسجداً في ساحة سمرة معمر بصنعاء عمره في آخر أيامه ووقف له.. وكان كثير العوارض والأمراض متلقياً لها بالقبول[٨١]. وكان بعض النبلاء المسلمين يعطي فقراء الفلاحين البذور، والتقاوي إعانة لهم على زرع محاصيل يستفيدون منها .

٢) **آداب الطريق**، وقد جمعها الحافظ ابن حجر _ رحمه الله _ في قوله [٨٢] :

جَمَعْت آدَاب مَنْ رَامَ الْجُلُوس عَلَى ... الطَّرِيق مِنْ قَوْل خَيْر الْخَلْق إِنْسَانَا

أُفْشِ السَّلام وَأَحْسِنْ فِي الْكَلام ... وَشَمِّتْ عَاطِسًا وَسَلامًا رُدَّ إِحْسَانَا

فِي الْحَمْل عَاوِنْ وَمَظْلُومًا أَعِنْ ... وَأَغِثْ لَهْفَان اِهْدِ سَبِيلا وَاهْدِ حَيْرَانَا

بِالْعُرْفِ مُرْ وَانْهَ عَنْ نُكُر وَكُفَّ ... أَذَى وَغُضَّ طَرْفًا وَأَكْثِرْ ذِكْر مَوْلانَا

٣) التعاون في مواجهة شدائد العَيْش: من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل بعض الناس أغنياء، والبعض الآخر فقراء؛ ليساعد بعضهم بعضا، خاصة في أمور معاشهم، ومعاونتهم على شظف الدنيا، ومواساتهم فيها، ويشهد لذلك ما رواه البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى أنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ) « إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ » [٨٣] . قَوْلُهُ : (إِذَا أَرْمَلُوا) أَيْ فَنِيَ زَادهمْ

، وَأَصْله مِنْ الرَّمْلِ كَأَنَّهُمْ لَصِقُوا بِالرَّمْلِ مِنْ الْقِلَّةِ، وفي الحديث: فَضِيلَة الْإِيثَارِ وَالْمُوَاسَاةِ ، وَاسْتِحْبَاب خَلْطَ الزَّاد فِي السَّفَرِ وَفِي الإِقَامَةِ أَيْضًا [٨٤] .

٤) تعاون أصحاب المسئوليات فيما بينهم : لعل من أهم صور التعاون؛ تعاون كل من تجمعهم مهمة واحدة لإنجاز هذه المهمة على الوجه الذي يرضي الله تعالى، وهذا هو مفهوم توجيه النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ) حين بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ حيث قَالَ « يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلا تَخْتَلِفَا » [٨٥] . وتلك الوصية النبوية جاءت لتؤصِّل عند جميع المسلمين دور التعاون في إنجاح جميع الأعمال والمهامّ حتى العظيم منها ، ولهذا كان من أوائل ما أهتم به الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حين قدم المدينة عقد أسباب التعاون ، وكان ذلك بأن آخى بين المهاجرين والأنصار ليحصل بذلك مؤازرة ومعاونة لهؤلاء بهؤلاء [٨٦] ؛ وذلك لأن المعاونة تورث المحبة والترابط . وقد قيل لسعيد بن عامر بن حذيم : إن أهل الشام يحبونك ؟ قال : لأني أعاونهم وأواسيهم . هذا وصور التعاون على البرّ والتقوى كثيرة جداً لا يُمكن حصرها ومجال الاستدلال بتلك الآية الجامعة الفاذّة واسع جداً وهذا الذهبي _ رحمه الله _ لم يستدل من القرآن على مشروعية التعزية إلا بها فقال : (رحمه الله) : (واعلم _ رحمك الله _ أن التعزية هي التصبير وذكْر ما يسلّي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهوِّن مصيبته وهي مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أيضا داخلة في قول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ ، وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية واعلم أن التعزية – وهي الأمر بالصبر – مستحب قبل الدفن وبعده قال أصحاب الشافعي من حين يموت الميت) [٨٧] . وللتعاون أصول وضوابط حتى ذكر بعض المصنفين علماً يسمى " بالسياسة المدنية " بعد ذكره علم تدبير المنزل ، فقال في أبجد العلوم : أ – علم التدبير المنزلي والحكمة المنزلية : وهي العلم بمصالح جماعة متشاركة في المنزل ، كالوالد والولد والمالك والمملوك ونحو ذلك ، وفائدة هذا العلم أن تعلم المشاركة التي ينبغي أن تكون بين أهل منزل واحد لتنتظم بها المصلحة المنزلية التي تهم بين زوج وزوجة ومالك ومملوك ووالد ومولود . ب – علم السياسة المدنية : وهو علم بمصالح جماعة متشاركة في المدينة وفائدته أن تعلم كيفية المشاركة التي بين أشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الأبدان ومصالح بقاء نوع الإنسان [٨٨]. وهذا من أهم مقاصد المدنية ؛ ألا وهو التعاون على أمور المعيشة ، ومصالح الأبدان والنفوس ، فكيف إذا كان التعاون من أجل مصلحة الدين ؟ .

ثامناً _ التعاون على الشيطان :ورد في بعض الآثار في صفة المؤمن « أخو المؤمن يتعاونان على الفتّان » ، أي : الشيطان . والتعاون على الشيطان : أن ينتاهيا عن إتباعه والافتتان بخُدَعه [٨٩] . ولا يجوز لمسلم أن يعاون الشيطان على أخيه المسلم .. كما دلّ عليه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) « أُتِيَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ) بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ قَالَ اضْرِبُوهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَخْزَاكَ اللَّهُ قَالَ لا تَقُولُوا هَكَذَا لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ » [٩٠] . قال ابن حجر _ رحمه الله _ : ((وَوَجْهُ عَوْنِهِمْ الشَّيْطَانَ بِذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَان يُرِيدُ بِتَزْيِينِهِ لَهُ الْمَعْصِيَةَ أَنْ يَحْصُل لَهُ الْخِزْيُ ، فَإِذَا دَعَوْا عَلَيْهِ بِالْخِزْيِ ، فَكَأَنَّهُمْ قَدْ حَصَّلُوا مَقْصُودَ الشَّيْطَانِ. وَوَقَعَ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣(أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

عِنْد أَبِي دَاوُدَ مِنْ طَرِيق ابْن وَهْبٍ عَنْ حَيْوَةَ بْن شُرَيْح وَيَحْيَى بْن أَيُّوب وَابْن لَهِيعَةَ ثَلَاثَتهمْ عَنْ يَزِيد بْن الْهَاد نَحْوه وَزَادَ فِي آخِره « وَلَكِنْ قُولُوا اللَّهُمَّ اِغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ اِرْحَمْهُ » زَادَ فِيهِ أَيْضًا بَعْد الضَّرْب " ثُمَّ قَالَ رَسُول اللَّه (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ) لأَصْحَابِهِ « بَكِّتُوهُ » وَهُوَ أَمْرٌ بِالتَّبْكِيتِ وَهُوَ مُوَاجَهَتُهُ بِقَبِيحِ فِعْلِهِ ، وَقَدْ فَسَّرَهُ فِي الْخَبَر بِقَوْلِهِ " فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يَقُولُونَ لَهُ مَا اتَّقَيْت اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، مَا خَشِيت اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، مَا اسْتَحْيَيْت مِنْ رَسُول اللَّه (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ) ثُمَّ أَرْسَلُوهُ " ، وَفِي حَدِيث عَبْد الرَّحْمَن بْن أَزْهَر عِنْد الشَّافِعِيّ بَعْد ذِكْر الضَّرْب" ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام : « بَكِّتُوهُ فَبَكَّتُوهُ ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ » وَيُسْتَفَادُ مِنْ ذَلِكَ مَنْعُ الدُّعَاءِ عَلَى الْعَاصِي بِالإِبْعَادِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّه كَاللَّعْنِ)) [٩١] .

تاسعاً _ التعاون في مجال البحث الفكري : نقصد بالتعاون في مجال البحث الفكري (الشورى) ، لذلك أمر الله بها رسوله ، وجعل الشورى من صفات المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [٩٢].

عاشراً _ التعاون في مجال المعونة المالية : نقصد بالتعاون في مجال جمع الأموال (الزكاة) ولذلك سميت ماعوناً، اشتقاقا من كلمة المعونة، قال تعالى: ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [٩٣] ، اي: يمنعون المعونة، والزكاة رأس المعونات الواجبة المفروضة .

الحادي عشر _ التعاون على الحق والصبر : وهو التعاون الجماعي التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر، قال تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [٩٤] .

المطلب الثاني : مجالات التعاون على الإثم والعدوان

قد جاء النهي الصريح في كتاب الله _ عز وجل _ عن التعاون على الإثم والعدوان، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ، وكما تتعدد صور التعاون على البر والتقوى فكذلك تتعدد ضروب التعاون على الإثم ، وحيث إن المقصود الأساس في هذه الرسالة الحثّ على التعاون على الخير فأكتفي بهذه الصور للعكس ومن ذلك :

١) الاستعانة بالشياطين على السحر والاعتداء وإيذاء المسلمين ، قال أهل العلم في كلامهم عن العشق: (فإن استعان العاشق على وصال معشوقه بشياطين الجن إما بسحر أو استخدام أو نحو ذلك ضم إلى الشرك والظلم كفر السحر ، فإن لم يفعله هو ورضي به كان راضياً بالكفر غير كاره لحصول مقصوده ؛ وهذا ليس ببعيد من الكفر ، والمقصود أن التعاون في هذا الباب تعاون على الإثم والعدوان) [٩٥] .

٢) أن يعاون الظلمة بأخذ المكوس ويكون في زمرة العمال الظلمة المترصدين في الطرق وغيرها [٩٦] .

٣) أن يدل رجلاً على مطلوب ليقتل ظلماً أو يحضر له سكيناً ، وهذا يحرم لقوله : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [٩٧] .

٤) المعاونة في الأغاني المحرمة نظماً وتلحيناً وتنظيماً لحفلاتها وتسجيلها ونشرها ، قال في شعب الإيمان ((ويحرم كذلك تجهيز الشِّعْر للمغنين)) [٩٨] .

٥) المعاونة على المنكر عموماً ، وشرّ المراتب في المنكر بعد ارتكابه المعاونة عليه ثم الرضا ثم المداهنة ثم السكوت عن الإنكار . وعلى المسلم أن يصبر على أذى من يخالفهم لأجل منكرهم ، وفي

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ (ج) - المجلد ٤٣ - السنة ٢٠١٨

قال أهل العلم : ((وذلك أن كثيراً من أهل المنكر يحبون من يوافقهم على ما هم فيه ويبغضون من لا يوافقهم، وهذا ظاهر في الديانات الفاسدة من موالاة كل قوم لموافقيهم ومعاداتهم لمخالفيهم ، وكذلك في أمور الدنيا والشهوات كثيراً ما يختار أهلها ويؤثرون من يشاركهم في أمورهم وشهواتهم إما للمعاونة على ذلك كما في المتغلبين من أهل الرياسات وقطّاع الطريق ونحو ذلك ، وإما لتلذذهم بالموافقة كما في المجتمعين على شرب الخمر مثلا ، فإنهم يحبون أن يشرب كل من حضر عندهم ، وإما لكراهتهم امتيازه عنهم بالخير إما حسدا له على ذلك ، وإما لئلا يعلو عليهم بذلك ويُحمد دونهم ، وإما لئلا يكون له عليهم حجة ، وإما لخوفهم من معاقبته لهم بنفسه أو بمن يرفع ذلك إليهم ولئلا يكونوا تحت منّته وخطره ونحو ذلك من الأسباب)) [٩٩] . وفي رفض التعاون على الإثم والعدوان يقول أهل العلم: ((الإنسان مدني بالطبع لا بد له أن يعيش مع الناس ، والناس لهم إرادات وتصورات واعتقادات ، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها ، فإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب من وجه آخر؛ فلا بد له من الناس ومخالطتهم ولا ينفك عن موافقتهم أو مخالفتهم وفي الموافقة ألم وعذاب إذا كانت على باطل وفي المخالفة ألم وعذاب إذا لم يوافق أهواءهم واعتقاداتهم وإراداتهم ولا ريب أن ألم المخالفة لهم في باطلهم أسهل وأيسر من الألم المترتّب على موافقتهم ، واعتبر هذا بمن يطلبون منه الموافقة على ظلم أو فاحشة أو شهادة زور أو المعاونة على محرم فإن لم يوافقهم آذوه وظلموه وعادوه ولكن له العاقبة والنصرة عليهم إن صبر واتقى ، وإن وافقهم فرارا من ألم المخالفة أعقبه ذلك من الألم أعظم مما فرَّ منه والغالب أنهم يسلطون عليه فينالهم من الألم منهم أضعاف ما ناله من اللذة أولا بموافقتهم فمعرفة هذا ومراعاته من أنفع ما للعبد ، فألم يسير يُعقِب لذة عظيمة دائمة أولى بالاحتمال من لذة يسيرة تُعقِب ألماً عظيماً دائماً والتوفيق بيد الله)) [١٠٠].

ومن المعلوم أنه لا يتم أمر العباد فيما بينهم، ولا تنتظم مصالحهم، ولا تجتمع كلمتهم، ولا يهابهم عدوهم، إلا بالتضامن الإسلامي، الذي حقيقته التعاون على البر والتقوى، والتكافل، والتعاطف، والتناصح، والتواصي بالحق، والصبر عليه، ولا شك أن هذا من أهم الواجبات الإسلامية، والفرائض اللازمة، وقد نصت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية، على أن التضامن الإسلامي بين المسلمين – أفراداً وجماعات، حكوماتٍ وشعوباً – من أهم المهمات، ومن الواجبات التي لا بد منها لصلاح الجميع ، وإقامة دينهم وحل مشاكلهم، وتوحيد صفوفهم، وجمع كلمتهم ضد عدوهم المشترك، والنصوص الواردة في هذا الباب من الآيات والأحاديث كثيرة جدّاً، وهي وإن لم ترد بلفظ التضامن: فقد وردت بمعناه، وما يدل عليه عند أهل العلم، والأشياء بحقائقها ومعانيها، لا بألفاظها المجردة، فالتضامن معناه: التعاون والتكاتف، والتكافل، والتناصر، والتواصي، وما أدى هذا المعنى من الألفاظ، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله سبحانه، وإرشاد الناس إلى أسباب السعادة والنجاة، وما فيه إصلاح أمر الدنيا والآخرة، ويدخل في ذلك تعليم الجاهل، وإغاثة الملهوف، ونصر المظلوم، ورد الظالم عن ظلمه، وإقامة الحدود، وحفظ الأمن ، والأخذ على أيدي المفسدين المخربين، وحماية الطرق بين المسلمين داخلاً وخارجاً، وتوفير المواصلات البرية والبحرية والجوية، والاتصالات السلكية واللاسلكية بينهم، لتحقيق

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ (أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

المصالح المشتركة الدينية والدنيوية، وتسهيل التعاون بين المسلمين في كل ما يحفظ الحق ، ويقيم العدل ، وينشر الأمن والسلام في كل مكان .وأما في حال غياب العمل المنظم من أصله ، أو غياب العمل الذي يغلب خيرُه شرَّه، وحيث لا يتمكن الإنسان من تعاون منظم مع غيره، فإن ذلك لا يمنع من أن يتعاون المرء مع نفر ممن حوله، يصطفيهم، ويلتقي معهم على التناصح والتذاكر في العلم النافع والعمل الصالح، ونشر الخير بين المسلمين، وهذا كله من أعظم مقاصد التعاون مع الجماعات الإسلامية، وعلى ذلك ينبغي أن يحمل الأمر بالتعاون على البر والتقوى، لا على خصوص الانضمام إلى جماعة من الجماعات، أو الانتماء إلى حزب من الأحزاب ، فالأمر بالتعاون أعم من ذلك كله . فإن عدم الإنسان ذلك، ولا يكاد يعدمه . إن شاء الله .؛ فليكن بنفسه داعية إلى الخير، إماما في الهدى لمن حوله، وهكذا بدأت دعوات كثير من المصلحين والدعاة، وليلزم ذلك ، ولو لم يجد من يعينه عليه ؛ فمن الأنبياء من يأتي يوم القيامة ، وليس معه أحد .

(الخاتمة)

بعد تمام هذا البحث أشكر الله تبارك وتعالى على ما منَّ به عليَّ من نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ومنها ما يسر لي من إنهاء هذا البحث، والذي أحب أن أختمه بذكر أهم ما توصلت إليه من نتائج وتتلخص في الآتي :

١) ان من الثوابت الأساسية في ديننا التعاون، والإسراع إلى العمل، وإتقان العمل، وتطوير العمل، والمحافظة على الوقت، وحسن إدارة الوقت، والعمل المؤسساتي، وترسيخ مفهوم فريق العمل، والالتزام بالمواعيد، وحسن التصرف بالإمكانات المتاحة، وترشيد الاستهلاك، والانتماء إلى المجموع، هذه قيم حضارية، وهي أصل في الدين، وقد أهملناها، وعتمنا عليها، فلذلك من هذه القيم الحضارية التي هي أصل في هذا الدين العظيم قيمة التعاون .

٢) التعاون لغةً : التظاهر، وفي الاصطلاح : هو الإتيان بكل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، والامتناع عن كل خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره عليها من إخوانه المسلمين، بكل قول يبعث عليها، وبكل فعل كذلك .

٣) الفرق بين التعاون بين البر والتقوى والإثم والعدوان : ان بين التعاون بين البر والتقوى فرق وهو بين السبب المقصود لغيره والغاية المقصودة لنفسها ، فإن البرّ مطلوب لذاته ، إذ هو كمال العبد وصلاحه الذي لا صلاح له بدونه كما تقدم ، وأما التقوى ، فهي الطريق الموصل إلى البر والوسيلة إليه . وأما الفرق بين الإثم والعدوان : أن الإثم هو التجري على المعاصي التي يأثم صاحبها .." والعدوان " ، وهو التعدي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه ، ثم إعانة غيره على تركه .

٤) التعاون بين البشر من فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكَنّ وغير ذلك وإنما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه والاجتماع المهيّء لذلك التعاون، وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله

تعالى والعمل به وإتباع صلاح أخراه .

٥) مجالات التعاون على البر والتقوى، هي : التعاون في مجال الدعوة ونصرة الدين، والتعاون على إقامة العبادات، والتعاون في بناء المساجد، والتعاون في مجال طلب العلم ، والتعاون في الدعوة والتعليم وإنكار المنكر، والمعاونة في إقامة الأنشطة الخيرية والأعمال الإسلامية، والتعاون في القيام بحقوق المسلمين واسع، والتعاون على الشيطان، والتعاون في مجال البحث الفكري، التعاون في مجال المعونة المالية، والتعاون على الحق والصبر .

٦) مجالات التعاون على الإثم والعدوان، هي: الاستعانة بالشياطين على السحر والاعتداء وإيذاء المسلمين، وأن يعاون الظلمة بأخذ المكوس ويكون في زمرة العمال الظلمة المترصدين في الطرق وغيرها، وأن يدل رجلاً على مطلوب ليقتل ظلماً أو يحضر له سكيناً ، والمعاونة في الأغاني المحرمة نظماً وتلحيناً وتنظيماً لحفلاتها وتسجيلها ونشرها ... وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين وسلم تسليماً كثيراً ..

الهوامش :

(١) معجم ألفاظ غريب القران للراغب الأصفهاني : ٢/ ١٤١ .

(٢) سورة المائدة من الآية (٢) .

(٣) ينظر : لسان العرب لابن منظور ، ٢٩٨/١٣ وجامع البيان في تأويل آي القران للإمام الطبري : ٢/ ٣٠٤ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المعجم الوسيط : المؤلف : إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار ، تحقيق / مجمع اللغة العربية ، ١٨٥/٢ .

(٦) الألفاظ المؤتلفة لابن مالك : باب الإعانة ، ١٥٩/١ .

(٧) تيسير الكريم الرحمن للسعدي : ٢ / ٢٣٨ ، بتصرف يسير .

(٨) التعريفات للجرجاني : ٥١/١ .

(٩) سورة المائدة الآية (٢) .

(١٠) سورة المجادلة الاية (٩) .

(١١) سورة التوبة الاية (٧١) .

(١٢) سورة البقرة الاية (١٧٧) .

(١٣) سورة التوبة الاية (٧١) .

(١٤) أبو داود والنسائي وابن ماجة وأحمد .

(١٥) رواه البخاري رقم الحديث ( )

(١٦) سورة آل عمران الاية (١٥٩) .

(١٧) سورة الشورى الاية (٣٨) .

(١٨) سورة الملك الآية (٢) .

(١٩) سورة العصر الآيات (١- ٣) .

(٢٠) سورة السجدة الآية (١٧) .

(٢١) سورة المؤمنون: الآيتين (٩٩ . ١٠٠)

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد (٣) - المجلد ٤٣ - السنة ٢٠١٨

(٢٢) الاحكام السلطانية للماوردي ص٢٦ .
(٢٣) سورة الحجرات الآية (١٠) .
(٢٤) سورة التوبة الآية (٧١) .
(٢٥) رواه أحمد رقم الحديث (١٨٨)
(٢٦) رواه البخاري برقم (٢٢٦٦) ٨/ ٣١٥ .
(٢٧) رواه ابن ماجه رقم الحديث (٢٦٦) .
(٢٨) رواه البخاري رقم الحديث (١٦٧)
(٢٩) البيهقي في سننه الكبرى رقم الحديث (١٥٦٨٨) .
(٣٠) سورة التوبة (٤١) .
(٣١) البخاري في صحيحه رقم الحديث (٢٣٦١)
(٣٢) رواه مسلم رقم الحديث (٧٠) .
(٣٣) رواه البخاري رقم الحديث (١٢)
(٣٤) سورة المائدة الآية (٢)
(٣٥) مقدمة ابن خلدون : ١ / ٤٢٩ .
(٣٦) المصدر نفسه : ١ /٣٦٠ .
(٣٧) مقدمة ابن خلدون : ٢ / ٢٧٢-٢٧٤ .
(٣٨) أخرجه البخاري برقم (٤٦٧) ، ١٨٢/١ .
(٣٩) الروح لابن القيم : ١/ ١٢٨ .
(٤٠) الحديث (صحيح) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٢٦٨٣) .
(٤١) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٤٧ .
(٤٢) سورة المائدة من الآية (٢) .
(٤٣) حلية الأولياء لأبي نعيم : ٧ / ٢٨٤
(٤٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٣ / ٣٣ .
(٤٥) أخرجه الترمذي من حديث أنس وقال غريب . ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وصححه عن أبي مسعود البدري بلفظ " من دل على خير فله مثل أجر فاعله " ، تخريج أحاديث الإحياء للعراقي : ٥٥/١ .
(٤٦) تفسير القاسمي (المسمى : محاسن التأويل) : ٣ / ٢٢
(٤٧) الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه لابن القيم : ١ / ٦-٧ .
(٤٨) زاد المهاجر لابن القيم : ١ / ١٣ .
(٤٩) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٦ / ٤٧ .
(٥٠) تيسير الكريم الرحمن للسعدي : ٢ / ٢٣٨ .
(٥١) زاد المهاجر لابن القيم : ١ / ١١ .
(٥٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي : ٢ / ٢٣٩ .
(٥٣) شعب الإيمان للبيهقي : ٦ / ١٠١ .
(٥٤) أخرجه البخاري برقم (٢٣١٢) ، ٢/ ٨٦٣ .
(٥٥) سورة النساء من الآية (١١٠) .
(٥٦) سورة الصف الآية (١٤) .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣(أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

(٥٧) البداية والنهاية لابن كثير : ٨٥/٢ .

(٥٨) سورة القصص الآية (٣٥) .

(٥٩) أخرجه البخاري برقم (٣) ، ٤/١ .

(٦٠) كونوا على الخير أعوانا : الشيخ محمد صالح المنجد ، ١/ ٣٦ .

(٦١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٣٩٣٤) ، ٣/ ٣٢٢ .

(٦٢) أخرجه البخاري برقم (٣٨١١) ، ٤/ ١٤٨١ .

(٦٣) أخرجه البخاري برقم (٢٣٧٥) ، ٢/ ٨٨٧ .

(٦٤) بغية الطلب في تاريخ حلب : ٩ / ٣٩١٦ .

(٦٥) طبقات الحنابلة : ١ / ٣٥٤ .

(٦٦) سير أعلام النبلاء : ٢ / ٦٠٩ .

(٦٧) ينظر : حلية الأولياء : ٧ / ٣٢٨ .

(٦٨) سورة التوبة الآيتين : ١٧ – ١٨ .

(٦٩) رواه البخاري برقم (٤٣٦) ، ١/ ١٧٢ .

(٧٠) فتوح البلدان : ١ / ٣٤٢ .

(٧١) رواه البخاري برقم (٨٩) ، ١/ ٤٦ .

(٧٢) باختصار من فتح الباري : شرح الحديث السابق : كتاب النكاح ، ٩/ ٢٨١ .

(٧٣) تاريخ بغداد : ٢ / ١٣ .

(٧٤) سير أعلام النبلاء : ١٨ / ٥٢ .

(٧٥) طبقات الشافعية : ٣٠/٤ .

(٧٦) رواه الترمذي برقم (١٦٣٧) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، ٤/ ١٧٤ .

(٧٧) شعب الإيمان للبيهقي : ٦ / ١٠٧

(٧٨) الحديث رواه مسلم (٢٦٠) ، ١/ ٦٢ ، وهو في صحيح البخاري بلفظ « تعين ضايعاً » ، ٦/ ٢٧٣٩ .

(٧٩) ينظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها : للشيخ عبد الرحمن حنبكة ، ٢٠٤/٢ .

(٨٠) سورة الكهف الآيات (٩٤_ ٩٨) .

(٨١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني : ٢ / ١٩٢ .

(٨٢) فتح الباري لابن حجر : ١١/١١ .

(٨٣) صحيح البخاري برقم (٢٣٥٤) ، ٢/ ٨٨٠ .

(٨٤) كونوا على الخير أعوانا : الشيخ محمد صالح المنجد ، ١/ ٣٦ .

(٨٥) رواه البخاري برقم (٢٨٧٣) ، ٣/ ١١٠٤ .

(٨٦) سير أعلام النبلاء : ١ / ١٤٣ .

(٨٧) الكبائر للذهبي : ١ / ١٨٨

(٨٨) أبجد العلوم : ٢ / ٢٤٦

(٨٩) الفائق في غريب الحديث للزمخشري : ٣ / ١٠٢

(٩٠) أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٥) ، ٦/ ٢٤٨٨ .

(٩١) فتح الباري لابن حجر : ١٢/ ٦٧ .

(٩٢) سورة الشورى الآية (٣٨) .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد (٣) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

(٩٣) سورة الماعون الآية (٧) .

(٩٤) سورة العصر الآية (٣) .

(٩٥) الجواب الكافي : ١ / ١٥٤

(٩٦) ينظر : أبجد العلوم : ٢ / ٥٨ .

(٩٧) شعب الإيمان للبيهقي : ١ / ٢٦٨

(٩٨) المصدر نفسه : ٤ / ٢٨١ .

(٩٩) الاستقامة لابن تيمية : ٢ / ٢٥٦ .

(١٠٠) إغاثة اللهفان : ٢ / ١٩٣

المصادر والمراجع

القران الكريم :

١. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم : للقنوجي ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية .

٢. الأخلاق الإسلامية وأسسها : الشيخ عبد الرحمن حنبكة الميداني ، دار القلم دمشق ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م .

٣. الاستقامة : لابن تيمية ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة .

٤. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : لابن القيم ، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م .

٥. الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة : للجباني ، تحقيق : د. محمد حسن عواد ، الناشر : دار الجيل – بيروت .

٦. البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل أبن كثير مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦م .

٧. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ) ، دار المعرفة .

٨. بغية الطلب في تاريخ حلب : لابن العديم عمر بن أحمد بن أبي جرادة ، تحقيق : د. سهيل زكار ، دار الفكر .

٩. تاريخ بغداد : المؤلف أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية – بيروت .

١٠. تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي ، طبعة دار العاصمة بالرياض .

١١. التعريفات : للجرجاني (ت٨١٦ هـ) ، تحقيق إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي بيروت .

١٢. تفسير القاسمي (المسمى : محاسن التأويل) للقاسمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للسعدي ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة.

١٤. جامع البيان عن تأويل آي القران للطبري ، دار الفكر بيروت ١٤٠٥ هـ .

١٥. الجامع الصحيح : المؤلف : للبخاري ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت .

١٦. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم للأمام مسلم ، دار الجيل بيروت

١٧. الجامع لأحكام القران للقرطبي ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

١٨. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) لابن القيم ، دار الكتب العلمية – بيروت .

١٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لابي نعيم الأصبهاني ، دار الكتاب العربي – بيروت .

٢٠. الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه لابن القيم ، تحقيق : د. محمد جميل غازي ، مكتبة المدني – جدة .

٢١. الروح لابن القيم ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م .

٢٢. سنن ابن ماجه : المؤلف محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر .

٢٣. سنن الترمذي : للترمذي ، تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي بيروت .

٢٤. سير أعلام النبلاء للذهبي ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، مؤسسة الرسالة – بيروت .

٢٥. شعب الإيمان للبيهقي ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٦. طبقات الحنابلة لابي يعلى المحقق : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة – بيروت .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٣ (ج) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

٢٧. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، دار إحياء الكتب العربية : عيسى ألبابي الحلبي بمصر .
٢٨. الفائق في غريب الحديث للزمخشري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة – لبنان ، الطبعة الثانية .
٢٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ .
٣٠. فتوح البلدان : للبلاذري ، مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة .
٣١. الكبائر : المؤلف الشيخ محمد بن عثمان الذهبي ، دار الندوة الجديدة – بيروت .
٣٢. كونوا على الخير أعوانا : الشيخ محمد صالح المنجد ، طبعة الرياض السعودية .
٣٣. لسان العرب لابن منظور الافريقي ، دار صادر .
٣٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل : مؤسسة قرطبة – القاهرة ، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها .
٣٥. معجم ألفاظ غريب القران للراغب أعده للنشر واشرف الدكتور محمد احمد خلف الله مكتبة الانجلو المصرية .
٣٦. المعجم الوسيط : المؤلف : / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات تحقيق / مجمع اللغة العربية .
٣٧. مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، دار الفكر ، القاهرة .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣(أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨